تمثلات الهوية العراقية في الفن التشكيلي العراقي بعد عام 2003

م. د. ياسين وامي ناصر

جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة

الملخص :

يقدم البحث تصوره حول تمثلات الهوية العراقية في الفن التشكيلي العراقي بعد عام 2003، العام الذي دخلت البلاد فيه وبعده تاريخا مشحوناً بالتوترات والصراعات والفوضى وغياب الاستقرار السياسي والمجتمعي والثقافي، رافق ذلك انفتاح كبير في الاتصال والتواصل المعلوماتي متمثلا بثورة الانترنت الهائلة وبعولمة واسعة ليس من ارادة او تصور لمواجهتها او حتى وعي للتعامل معها، ينطلق من ذلك كله سؤال البحث: ماهي تمثلات الهوية بعد عام 2003؟ ليتحدد هدف البحث بعده وهو التعرف على هذه التمثلات. ويتقصى البحث في الاطار النظري عن الهوية مفهوما وعن الهوية العراقية بعد 2003، مستعرضا الاراء المهمة التي سعت لتعريف وتحديد الهوية كمفهوم غير مستقر وقابل للتحوّل والتغيّر والاستجابة للمؤثرات المختلفة ثم التعرّف على الهوية العراقية ومنعطفات التغيير بعد الاحتلال الاميركي ليمهد لنا ذلك قراءة وتحليل عينات البحث المنتقاة. وقد تم تحديد العينات باختيار فنانين عراقيين من مدينة البصرة وذلك لصعوبة تمثيل كافة الفنانين العراقيين ضمن مجتمع بحثي واسع في دراستنا الحالية ولكي يتيح البحث فرصة لتتبع هذه التمثلات في مشاريع بحثية مقبلة، وكان الاختيار قائما على تنوع تمثلات الهوية في التشكيل العراقي وعلى اختلاف الطروحات الفنية فيها. الفنانون فيصل لعيبي، هاشم تايه وصدام الجميلي، قدموا تصوراتهم عن الهوية العراقية وفهما متباينا عن تلك الهوية وهو ما يؤشر لسعة المفهوم وقدرته على التمظهر باشكال وطرائق مختلفة تتفق مع البيئة والخلفية التي صنعت الفنان. اشارت نتائج البحث الى غياب مفهوم واضح للهوية العراقية الراهنة في منجزات الفنانين العراقيين بعد عام 2003، ليس بسبب عزوف الفنان عن تمثيلها انما بسبب غيابها فعليا كحالة ثقافية أو مجتمعية تمثل خصائصا وانساقا لمجموعة بشرية في فضاء جغرافي معين، فضلا عن تداعي المرتكزات الاساسية المنتجة للهوية والمسؤولة عن اعادة رسم ملامحها وتحديثها باستمرار. كما افاد البحث ان موضوع الهوية في وقتنا الحاضر هو موضوع منفتح على التغيرات والتحولات التي يشهدها العالم الحديث الذي انهارت حدوده الثقافية وتشظت خصوصياته لتذوب في هوية كبرى، هوية تنحتها الشعوب والحضارات بتلاقح ثقافاتها في فضاء واسع قابل للتجدد والتكون باستمرار واستنتج البحث

ايضا ان التجارب والتحولات الفنية المتحررة من هيمنة خصائص هوياتية معينة تنتج هويات جديدة اذا ما تم تأكيدها والاشتغال عليها، لان موضوع الهوية بطبيعته قائم على التحوّل والتغيّر وليس من هوية ثابتة.

الفصل الاول

مشكلة البحث، اهميته والحاجة اليه:

أخذ مفهوم الهوية في الفنون تصورات مختلفة من حضارة الى اخرى ومن مجتمع الى مجتمع اخر، فالتجارب الابداعية التي شكلت منجزاتها أركان الحداثة الفنية لأكثر من قرن من الزمان ماكانت تهدف لتحقيق مايسمى بالهوية على وفق التصورات السائدة لهذا المفهوم، انما كانت مقاصد فنانيها تتجه نحو رسم خارطة للإبداع والتجديد في الفن وطروحاته عموما التي تتسق وفق رؤيتهم مع الحياة التي ينتمون اليها والى المستقبل الذي يستشرفوه ويرسمون صورته من خلال الفن، والمتتبع لتاريخ الفن الحديث يجده قد تشكل من خلال جهود فنانين ينتمون الى الأصقاع الأوربية كلها متجاوزين انتماءتهم العرقية والقومية والدينية واللغوية وغيرها، فبابلو بيكاسو الإسباني ومارك شاغال الروسي وبول كليه الألماني وموديلياني الايطالي وهنري ماتيس الفرنسي وأسماء كثيرة اخرى لم يكن يجمعها سوى الشغف في الفن والاستجابة لنبوغهم فيه وإيمانهم بأهميته الحضارية ودوره في صناعة الانسان والحياة، فضلا عن رغبتهم العميقة في التعبير عن العالم من خلال الجمال وتحرير طاقاتهم الفنية لتقول كلمتها في عالم الإبداع الكبير متجردين من هوياتهم الجزئية ومنتمين الى هوية أوسع تمثل الانسان في كل مكان، لذلك كان الفنانون يتبادلون التأثير والتأثر لان الفنان يميل بطبعه وينجذب الى الصنعة الفنية والإظهار البصري اكثر من الخلفية التي ينتمي اليها الفنان او النتاج الفني. عاش كل من فان كوخ وبيكاسو حياتهما الفنية في فرنسا، لكن فنهما لا ينتمي بأية حال لما يمكن توصيفه بالهوية الفنية الفرنسية ولا الى جذور فنية يحملانها من بلادهما الام، كان كوخ وبيكاسو وغيرهما الكثير أمثلة حية لهوية الفنون الحديثة وطبيعتها المتحررة من علائق الانتماءات المختلفة ووظائفية الفنون التي تحدد الإبداع وتجيره لصالح الهوية ومحدودية تمثلاتها الإبداعية، كانت الفنون الأوربية الحديثة وحتى الامريكية فيما بعد لا تشير الى مايمكن توصيفه بالهوية القومية او الوطنية المرتبطة باتجاهات محددة، كانت الحرية هي الارتباط الوثيق بالطروحات الفنية الكبيرة، وكان الانفتاح على الثقافات ومحو الحدود، القاعدة التي شكلت تلك الهوية الجديدة للفن الحديث والمعاصر، الهوية القابلة للتحول والتجدد والتغير بناءا على معطيات العصر نفسه لا على معطيات الانتماء أيا كان.

حاول النازيون صناعة فن يليق بالامة الألمانية بحسب تصوراتهم عن هذه الأمة لكن هذه الإرادة فشلت في استمالة الفنانين الألمان أنفسهم لهذا المشروع ورغم الحظر الذي مارسته السلطات النازية آنذاك على النشاط الفني للفنانين المعاصرين الا انهم جاهدوا للتعبير عن أنفسهم وطروحاتهم

الفنية وقدموا أعمالهم في الخفاء احيانا بغية الاستجابة لشغف إبداعي اهم من إرادة السلطة في تمثيل ذاتها على نحو مختلف(١).

ظهرت أولى تمثلات الفن التجريدي من خلال الرحلة التي قام بها الفنان الألماني بول كليه والفنان الروسي فاسيلي كاندنسكي الى تونس(٢)، وهما صديقان مشغولان بأسئلة الحداثة الفنية وتمثلاتها الابداعية متجاوزين تماما الأسئلة المتعلقة بالهوية الى الهوية الذاتية التي يملكها الفنان بوصفه فردا لا يشبه سواه ومتحررا من جميع انتماءاته الاخرى ومكرسا حياته وفنه للتعبير عن الانسان الكوني والروح الكبرى التي تجمعه بالانسان في كل مكان في عالم واحد يذوب معا ليشكل صيغته الجديدة، كان الفن الحديث انجازا كبيرا للحضارة الانسانية كلها ورد فعل ضد الهويات كلها في الوقت ذاته، الهوية صارت هوية الفنان نفسه لتجتمع هذه الهويات وتشكل فيما بعد هوية الفن الحديث.

ظل موضوع الهوية سؤالا شاغلا في الثقافة العراقية عموما والتشكيل على وجه الخصوص، وهو ليس سؤالا جديدا في الفن التشكيلي العراقي لكن الفترة التي يتناولها البحث هي التي تؤسس مشكلته وأهميته في آن.

تاريخيا لم يشهد العراق هوية واحدة او هوية ثابتة طيلة تاريخه الموغل في القدم، وكانت الهويات تتوالد فيه باستمرار كلما بادت حضارة وسادت غيرها، تتشابه النتاجات وتختلف، تتقاطع وتلتقي لكنها جميعا تتشكل عبر البيئة العراقية باشتراطاتها المختلفة، فالفن والإنسان –ركيزتا الهوية الأساسيان– هما "نتاج الارض والمناخ" كما يقول جواد سليم، فضلا عن ان أي هوية تشكلت فيه كانت معرضة دائما للتهديد حينا وللمحو والمسخ احيانا اخرى.

بعد الاجتياح الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣ تعرضت الهوية العراقية الحديثة التي تشكلت تدريجيا منذ تأسيس الدولة العراقية بصيغتها الحديثة عام ١٩٢١ الى تصدّع عنيف في طبقاتها العديدة وتهشم كبير في مفاصلها الاساسية إثر هذا الاحتلال وما رافقه من هدم منظم للبنى الثقافية والمجتمعية كانت نتيجة طبيعية لانهيار الدولة وما لحقها من فراغ تم ملؤه بقوى متنافرة تعتاش على صراع الهويات بديلا عن تجاورها وحوارها، الصراع الذي انتج في مابعد هويات عديدة تستند الى الاختلاف والفرقة وتستقوي بهما.

سعى الفنانون العراقيون منذ النصف الاول من القرن العشرين لتمثيل هوياتهم الثقافية والحضارية والوطنية من خلال رؤية فنية يتسنى لهم ان يسموها عراقية (٣)، كان الحرص على إظهارها يستند الى الطموح الوطني العام في التحرر من التبعية والهيمنة التي طبعت صورة البلاد لقرون طويلة، لكن الطموح والرغبة وحدهما لَيسا كفيلين دائما بتحقيق الأهداف اذ ان الحقل الفني يعتمد أساسا على البنية التجريبية في الاشتغال على الطبقات والمراحل التاريخية من جانب والاسس والعناصر الفنية والعلاقات التي تحكمها من جانب اخر فضلا عما تقدمه الحضارة

العالمية المعاصرة من اقتراحات صورية ومفاهيمية بفعل اشتراطات وتداخلات عديدة تصب احيانا في اثراء المشهد البصري للفن. قدم الفنان شاكر حسن آل سعيد تنظيرات عديدة لما يفكر به حول فن عربي ولعل جماعة البعد الواحد من خلال معارضها عملت لتحقيق هذه الرؤية، ولكن هل حققت هذه الجماعة حلمها؟ وهل يمكن تحقيق فن إبداعي متفرد بخصوصياته الابداعية في معزل عن بيئة التأثير والتأثر؟ (٤).

من ناحية اخرى فإن الخصائص الفنية التي تحملها الفنون في اظهاراتها البصرية وتعمل على تمييزها عن غيرها تشكل ظاهرة ابداعية مهمة في تاريخ الفنون نذكر في هذا الصدد الفن الاسلامي والفن الياباني والفن الافريقي وغيرها، وهو ما يبرر لدعاة الهوية الفنية احتضان موروثهم الحضاري وإعادة إنتاجه وفق تطلعات معاصرة، لذلك شهدت الساحة الفنية العراقية تجارب فنية عديدة اهتمت اهتماما واسعا بالحرف العربي بوصفه احد اهم الملامح الحضارية في الثقافة العربية والإسلامية بشكل عام فضلا عن اهتمامها الحثيث بالتراث الشعبي والرافديني.

الحرف العربي والتراث الشعبي –في الفترة حدود البحث– لم يعودا قادرين على تمثيل تطلعات الفنان الذي اصبح يعيش في بيئة عولمية واسعة وثورة معلوماتية هائلة عابرة للحدود والثقافات، فضلا عن المجريات الدرامية التي آلت اليها الحياة العراقية بفعل الاجتياح العسكري الامريكي من جانب وانهيار الدولة من جانب اخر والفراغ الهائل الذي ألقى بظلاله على الفنان ما ترتب عليه طرح أسئلة كبرى تتعلق بالذات الفنية والهوية الفنية وممكنات الدفاع الابداعي ومجابهة المحو والمسخ الثقافيين. الفنان التشكيلي العراقي كان راصدا لهذه التحولات المهولة ومنتبها للتغيرات الكبرى التي طالت محيطه العام والخاص، بيئته الثقافية والاجتماعية وسعى بدوره ابداعيا لتقديم تصوراته عن الهوية أو ردود فعله عنها، وقد كانت طروحاته متباينة وتصوراته مختلفة في التعبير عن الهوية وفي طريقة تمثيله لها وهو ما يدفعنا للوقوف عند نماذج من تلك التجارب الفنية التي تعاطت تحديدا مع مفهوم الهوية العراقية أو تصدت له او سعت لتعريفه بصيغ فنية مختلفة تشير الى مواقف متباينة من جانب والى اشكالية الهوية العراقية ذاتها من جانب اخر بقصد دراستها وتقصي الدوافع المنتجة لهذه الاعمال الفنية والمرتكزات التي استندت اليها اظهاراتها البصرية ذات الصِّلة بموضوع الهوية ومن خلال السؤال التالي:

– ماهي تمثلات الهوية العراقية في الفن التشكيلي العراقي بعد عام 2003؟

ولان الهوية العراقية الان تتعرض لتصدعات كبيرة في بنيتها الاساسية وتواجه تحديات كبرى في اثبات وجودها وتعريف نفسها والمحافظة على كينونتها، كانت اهمية البحث والحاجة اليه.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على اشكالية الهوية العراقية من خلال تمثلاتها في الفن التشكيلي العراقي عبر نماذج من تجارب فنية لثلاثة من الفنانين العراقيين (فيصل لعيبي، هاشم تايه، صدام الجميلي).

حدود البحث:

موضوعيا: يتحدد البحث الحالي بنماذج من تجارب فنية لثلاثة فنانين عراقيين من مدينة البصرة (فيصل لعيبي، هاشم تايه، صدام الجميلي) تصدّوا لموضوع الهوية في اعمالهم، وتم اختيارهم بناءا على اختلاف طروحاتهم الفنية وتنوعها في تناول موضوع الهوية، وعلى الرغم من ان فيصل لعيبي يعيش خارج العراق منذ اربعة عقود الا انه يعمل بوصفه فنانا عراقيا وفنه ينتمي بقوة للروح الشعبية العراقية ولانه ولد ونشأ في مدينة البصرة تمت الإشارة اليه في بحثنا الحالي بأنه فنان "بَصْري" والامر نفسه مع الفنان صدام الجميلي الذي يقيم في الاردن ولا زال منذ عشر سنين، ولان موضوع الهوية يحتاج لدراسات أكاديمية أوسع لكي تضم جميع الفنانين العراقيين في الداخل والخارج تم تحديد البحث الحالي بالفنانين المذكورين من مدينة البصرة.

زمنيا: يتحدد البحث بالفترة منذ العام ٢٠٠٣ وحتى العام ٢٠١٨.

تحديد المصطلح:

الهوية لغة: يعرف قاموس "Cambridge" للغة الانكليزية الهوية بأنها الماهية التي عليها شخص ما، او الصفات التي تجعل شخصا او مجموعة ما مختلفين عن الآخرين(٥)، ويضيف قاموس "Collins" للهوية فيعرفها بأنها الخصائص التي يمتلكها الانسان او المكان وتميزهما عن غيرهما(٦).

الهوية اصطلاحا: الهوية وجود وماهية والوجود سابق للماهية وهو مايعني ان الماهية ليست معطى نهائيا بل هي شئ يتشكل، يشيء ويصير(٧).

الهوية اجرائيا: هي مجموعة الخصائص والمشتركات التي تمثل فنا ما وتميزه عن سواه وتشكل صورته الخاصة التي يمكن إدراكها من خلال صفاتها الذاتية.

الفصل الثاني

المبحث الاول: الهوية مفهوما:

مفهوم الهوية قديم ونشأ بالأصل من الفلسفة ويصف منذ أرسطو ظاهرة النفس، بقاء الشئ نفسه او الموضوع ذاته على حاله، وبهذا يمكن للمرء ان ينظر الى الهوية على انها مجموع سماته المميزة والدائمة، التي تميزه بوصفه مخلوق لا تخطئه العين وهي ايضا مايمكنه ان نصف به الاخرين ومايصف به الانسان نفسه حين يتأمل ذاته ويشكل صورته.(٨) وتكمن هوية فرد او جماعة او ثقافة في رسم الإجابة عن السؤال التالي: من ذلك الفرد او هذه الجماعة او هذه الثقافة؟ (٩)

مرّ مصطلح الهوية بانزياحات عديدة انطلاقا من "(هو) نحوي الى (هو) منطقي، الى (هو هو) انطولوجي، ومن ثم الى (هوية) انطولوجية في الفلسفة العربية الكلاسيكية، الى (هوية) انثروبولوجية وثقافية في نظام الخطاب السسيولوجي –التاريخي– اللاهوتي المعاصر"(١٠).

يتداخل موضوع الهوية مع الماهية، فالهوية لغة ان يكون الشئ "هو هو" وليس غيره، اما الماهية فان يكون الشئ "ما هو" بزيادة "ما" حرف الصِّلة على الضمير "هو"، وان كان البعض يرى ان الماهية "Essence" أعمق من الهوية "Identity" وهذا ما يشير له أصل الكلمة اللاتيني الا ان المعنى الاصطلاحي لا يختلف كثيرا(١١).

والهوية اصطلاحاً تعني "حالة استقلال الذات والانتماء إلى الشيء، وهي أيضاً حالة الشيء كونه متميزاً وتعد مطلباً أساسياً لكل البشر، وتحديدها واجباً حتمياً ، يقع جزئياً على عاتق المسؤولين عن مهمة ضبطها وتوجيهها على اعتبار أن شكل ومضمون الهوية من الواجبات التي لا يمكن تجاهلها أو التخلي عنها"(١٢).

ينظر للهوية اجتماعيا على انها الإحساس الواعي للإنسان بالتفرد والتضامن مع قيم الجماعة ومُثلها(١٣). وتعني الهوية لكثير من العلماء صورة الذات، التصور الذي يصنعه الانسان حول خصائصه ونقاط قوته وضعفه، منشأه وعلاقاته الاجتماعية، قيمه واهدافه الحياتية. يعتقد "ايريك ايركسون" ان التحليل النفسي الذي بدأ بالتعامل مع الهوية بوصفها اشكالية، اصبح ينظر اليها في عصرنا الحالي على انها مسألة ستراتيجية بالقدر نفسه الذي كانت فيه دراسة الجنسية في زمن فرويد، ويشير الى معان ابتدائية من قبيل ان الهوية هي الشعور "بأن المرء هو نفسه"، والمعرفة "من هو المرء"، ثم يتعقد المفهوم ليشير الى "الشخصية" و "الشعور بالذات" و "الطبع" والى لُب الجوهر "الحقيقة" الكامنة في الشخصية خلف ظهورها وادوارها الاجتماعية (١٤) ويسمي ايركسون الشعور بالهوية ايضا بانه القدرة على خبرة الذات كشيء يملك استمرارية ويظل نفسه ويستطيع التصرف وفقا لذلك (١٥)، والهوية لدى ايركسون شعور فريد ومضاعف بمعنى ان يشعر الانسان بانه "متحد مع ذاته بالشكل الذي ينمو ويتطور فيه، كما يعني، شعور بالجماعة المتصالحة والمنسجمة مع مستقبلها وتاريخها او اسطورتها"(١٦).

ويصف الباحثون الهوية القادرة على تحقيق التوافق والتكامل مع التجارب الجديدة والانظمة المعرفية والثقافية المعطاة ولديها الحيوية لخلق تمثلات جديدة دون انقطاع "بالهوية الناضجة" التي تشكل منطلق هوية دائمة التجدد وفاعلة في تجاوز المشكلات التي أفرزها تاريخ التطور الفردي او الجماعي وفي تجاوز شروط الخبرة السلبية(١٧).

يرى ادونيس في كتابه "الهوية غير المكتملة" ان الابداعات العظيمة من أمثال ملحمة جلجامش والمنجزات الخالدة التي سطرتها الفنون السومرية والفرعونية والاغريقية، ليست فنونا شرقية وليست غربية ايضا مثلما لايمكن تصنيف المبدعين القدماء العظام الذين صنعوا تلك الحضارات بأنهم

شرقيين او غربيين بالمعنى الضيق للتوصيف والتصنيف، ويستطرد بأنهم كانوا كونيين ينتمون الى جميع الأقاصي لأنهم أبناء الارض الملهمة والصوت الإنساني الذي يتجاوز الجغرافية والسياسة ويتحرر من انقسامه باتجاه الكمال المطلق والكوني(١٨).

في مقابلة* مع الفنان الاوكراني "Sergey Lozovisky" يقول، ان انتاج الهوية يكون من خلال التأمل العميق في البيئة المحيطة بالفنان (سواء كانت طبيعية أم مجتمعية) لانها بحسب اعتقاده لاتشبه اي بيئة اخرى وتحمل مزاياها المختلفة والوانها الخاصة وسحنة وجوهها ووهج شمسها، وهذه الصفات مجتمعة تختلف عما يشبهها وان بدا للمتلقي الاعتيادي تشابهها الظاهر سطحيا، لكن دور الفنان الحقيقي هو الغور في مكنوناتها وطبقاتها والتأمل العميق لخصائصها الفريدة وهذا بحسب وصفه مهمة الفنان النبيلة لتصديه لصراع الهويات وطغيان العولمة، وهو يؤكد، بوصفه فنان واقعي محترف، ان الهوية الذاتية تكمن في المعرفة والقدرة على تمثيل البيئة الواقعية ورصد ملامحها فنيا.

المفكر اللبناني "علي حرب" يدعو لإعادة النظر في مفهومنا للهوية وفي طريقة ممارستنا للاختلاف، فالهوية من منظوره أوسع وأغنى تنوعا وتركيبا من ان تحشر تحت عنوان واحد أو وحيد وان احادية الاسم والاصل والنموذج هي فخ الهوية كما هي مقتل الحرية، ويستمر بقوله، ان فحص الهوية وكشفها يظهر خليطا معقدا ونسقا مركبا من تعدد الوجوه والأطوار ومن تنازع الميول والأهواء ومن تداخل العقائد والطقوس ومن منظومة متشابكة في التأثير والتفاعل، ونسيجا من الروابط والعلاقات وتوليفة من المحرمات والعقائد، بقدر ما تظهر ايضا سيرورة نامية ومتحركة من التحولات والتقلبات ويؤكد ان فحص الهوية ضرورة لفهم ماتجرنا اليه من الكمائن والمآزق(19).

ولأهمية الهوية في الدراسات الاجتماعية الحديثة سعى العلماء لاستخدام مصطلح (كشف الهوية، تعيين الهوية – identification) بدلا من مصطلح (هوية – identity) وهو مسعى لتأكيد قابلية المصطلح الاول على الاكتشاف المستمر للهوية وقابليتها على التحول والتغير في مناوئة دؤوبة ضد الثبات والسكون(20) وعلى الرغم من الآراء العديدة والمختلفة حول مفهومها تبقى الهوية مصطلحا قابلا للإسهامات المعرفية بشكل مستمر ويمتلك الدينامية لاستخدامه وتطبيقه في جميع الحقول المعرفية.

المبحث الثاني: الهوية العراقية بعد عام 2003:

طيلة الخمسة عشر سنة التي تلت سقوط النظام العراقي كان العراق يتصدر نشرات الأخبار المحلية والعربية والعالمية، وصعد القاع العراقي الى السطح العالمي وبدا كل شئ في العراق واضحا جدا ومبهما جدا في الوقت نفسه، فضلا عن ذلك فان السنوات العشر الاخيرة وبفعل ثورة الانترنت والانفتاح الهائل وغياب اي سلطة رقابية او توجيهية، أتيح لأغلبية العراقيين ان يكونوا جزءا من الميديا السمعية المرئية وان يكون لكل واحد منهم ميديا مستقلة خاصة به، يدون فيها آراءه ويتبادل فيها اهتماماته وافكاره مع الآخرين، لكن سؤالا مهما يصعد الى السطح ايضا، أين الهوية العراقية من كل ذلك؟ هل هناك فعلا هوية عراقية؟ هل الحرية المطلقة وفوضاها الشعواء على شاكلة ما عشناه كفيلة بإنتاج هويتنا المستقبلية؟ هل هذا الضجيج العالي والحراك العشوائي والصدام العنيف والتشظي الحاد للبنى والثقافات والمصائر بامكانه ان يشكل هوية من نوع ما؟ مالذي سيجول بذهن رجل من اليابان او اخر من كندا مثلا وهو يكتب كلمة (Iraq) او (Iraq after 2003) في محركات البحث على الانترنت، ولا يطالع في الاولى والثانية سوى صور جنود ودبابات ومشاهد خراب ودمار وجثث وسقوط تماثيل وخرائط جيوسياسية للوطن العراقي؟ ما ينطبع في ذهنيهما يقودنا للقول ان الفترة حدود البحث كانت بمثابة صدمة عنيفة للبنى العراقية باجمعها، لا يمكن على اثرها المحافظة على أو تشكيل هوية ثقافية تحتاج ازمنة من الاستقرار والرسوخ والتأمل الذاتي والبرامج الواضحة الأهداف، والنَّاس لما تزل في خضم إرباكها وتشوشها، هذا عدا ان الهويات لا تتخلق في بيئة المجاذبات السياسية وضجيج السلاح.

طغت الثقافة الدينية بانزياحاتها الطائفية على المشهد الثقافي والاجتماعي العراقي، وصعد بجوارها المشهد السياسي العراقي بتقلباته وصراعاته، وكانت هناك في الظلال أصوات ابداعية حرة وحراك ثقافي جاد ومخلص لكنه إجمالا وبسبب شحته وضعف اتصاله الجماهيري وانحسار دعمه المؤسساتي لا يشكل الهوية العراقية على نحو واسع وظلت ممارستة نخبوية متفرقة تنفصل عن نسيجها العام وتتقاطع مع محيطها الواسع.

يشير روجيه جارودي، المفكر الفرنسي في مطلع كتابه "الولايات المتحدة، طليعة الانحطاط" بالقول، نحن نعلم جيداً، ان امركة اوربا بعد الحرب العالمية الثانية ستصبح خطراً عظيما، ونحن نعلم تماماً ماذا سنخسر ان حدث ذلك، ان امركة اوربا تمهد دون شك لامركة العالم بأسره، وحينئذ ستخسر الانسانية بأجمعها ماضيها، اننا في الطريق لقتل احفادنا وتحضير انتحار كوني للقرن الحادي والعشرين، ان استسلمنا للانحرافات الحالية للسياسة الامريكية(21).

واذا كان هذا القلق نابعا من غارودي الاوربي الآتي من قلب الحضارة ومن مركز تنويري كبير فيها ومعزز بثوابت ومدركات ثقافية وتاريخية تؤهله لمعرفة هويته واجتناب الاخطار المحدقة فيها فما هي الاخطار التي ننتظرها نحن من أزمة هويتنا ومن اختراق العالم لها؟!

لم تطرح الولايات المتحدة بعد اجتياحها العراق اي مشروع ثقافي يهدف فيما يهدف لتشكيل هوية عراقية من النوع الذي يتوافق مع الإرادة الامريكية ومشروعها في العراق لكنها صنعت مشروعا سياسيا مدعوما ومراقبا من شأنه ان يعزز الحريات ويؤرجح القوى الكفيلة بصدام الثقافات التي يتشكل منها النسيج العراقي، جاعلين من الفضاء العراقي ارضا خصبة لتطبيق رؤيتين متعارضتين للتلميذ "فرانسيس فوكوياما" واستاذه "صموئيل هنغتنغتون"** منظّرَي الولايات المتحدة اللامعين، تشير الاولى الى نهاية التاريخ والانسان الاخير وتعارضها الثانية بالتلويح والتنبؤ بصراعات مستقبلية قائمة على صدام الثقافات وكلا منهما يضرب أمثلته ويطرح شواهده في البرهنة على صدق رؤياه وهو ماتوفرت له فرصة كاملة لان يتحقق فيما بعد على الارض العراقية، فالصراع العراقي تحول من مواجهة قوى وهويات خارجية الى مواجهة ثقافات داخلية أنتج صدامها تشرذما وانقساما في الهوية الوطنية الواسعة، ونقيضا لما قاله اوكتافيو باث "ان مايميزنا هو ايضا ما يوحدنا" [22]. شرعت المكونات العراقية على تنوعها الحضاري والديني والثقافي بالاحتراب الذاتي في صراع عقيم انتج الفوضى والخراب الذي ألقى بظلاله الداكنة على الهوية العراقية عموما.

والعراق منذ سقوط بغداد بيد المغول ومرورا باحتلال الدولة العثمانية، وطيلة تاريخه الممتد عبر هذه القرون لم يشهد دولة حديثة، كما ظهرت في أوربا في العصر الحديث، دولة تذوب فيها جميع المكونات وتنشط من خلال مؤسساتها منظمات المجتمع المدني القائم على الحريات واحترام الرأي الاخر وعلى آلية التفاعل بين الدولة ككيان والمجتمع كأفراد[23].

اثناء الحروب وحملات الاظطهاد وبخاصة تلك التي تأتي من قوة او جماعة اكبر، تظهر الاندفاعات الفورية لاحتضان الهوية بوضوح، مما يمكّن هذه الهوية الجمعية ان تغلف الفرد –وإن وقتيا– وبالتالي فإن الفرد يتمثل هذه الهوية ويبدي استعداده للدفاع عنها وحتى التضحية من اجلها، وهو مايشير لقوة الشعور بالانتماء وفعاليته بصورة لافتة[24]. وقد اتخذ هذا الاستعداد في الثقافة العراقية نزوعا عند الكثيرين في الالتفات والانتباه والتعمق في إرثهم الحضاري وتاريخهم الرافديني، لكنه استعداد لم يقو ولَم تتوفر له السعة ولا الدعم لمجابهة استعداد اخر لديه القدرة لتدمير الثقافة والفن استجابة لقناعات عقائدية متطرفة في ظلاميتها ليس داعش أولها ولا اخرها في غياب منهج واضح لتبني هوية ثقافية عراقية تستند للإرث وتمضي به نحو الحداثة والتنوير.

ولا يمكن اغفال ان الهوية في ظروف مماثلة للغزوات والاجتياحات المسلحة تعاني حالة استلاب حقيقية عندما تتعرض لتأثير نظام من العمليات الخارجية التي تعمل على احداث تغيرات عميقة في جوهرها، ويتشاكل الاستلاب الذي يفرضه التطبيع القسري بالضرورة مع ظواهر الاقتلاع الثقافي، وهي حالة يجد فيها المرء نفسه او الجماعة او المجتمع داخل غمار حياة اخرى او ثقافة اخرى تختلف عن ثقافته وعن حياته المعهودة[25].

العالم الاسلامي يتملكه احساس بأن القيم الحديثة –الغربية– غريبة عنه وذلك منذ عهد الصليبيين، ويتملكه وهم بأنّه لا يمكن له ان يتبنى هذه القيم إلا بالتخلي عن هويته الذاتية على الرغم من ان هذه القيم تشده في كثير من الاحيان وبالتالي فهو محاصر بين نموذجين متناقضين من القيم تجعل المجتمع الاسلامي يعاني من التردد والحيرة[26]. وهو ما طبع السلوك الاجتماعي العام للمجتمع العراقي في الفترة بعد ٢٠٠٣.

اطلق إريكسون مصطلح "أزمة الهوية" في إطار توصيفه للهنود الحمر الذين تعرضوا لموجات من التشويه وما قال عنه "اجتثاث ثقافي" تعرض له الهنود على يد الامريكيين البيض[27]. وفكرة الاجتثاث في الثقافة العراقية قديمة ومتأصلة يهرع للعمل بها كل من يصل هرم السلطة سواء من داخل البلاد او من خارج حدودها ولا يقف هذا الاجتثات عند الاثار السياسية والإدارية السابقة بل يمتد ليطال الميراث الثقافي والإبداعي نفسه.

يشير الدكتور حيدر سعيد في كتابه "سياسة الرمز"، عن نهاية ثقافة الدولة الوطنية في العراق" الى تلك التحولات المفاهيمية الكبيرة في وعي الثقافة وطرق انتاجها ورسم محددات هويتها من خلال صراع الافكار والمفاهيم والقيم والرموز، وان الماضي السياسي كان فاعلا دائما في ايجاد طرق عديدة متعارضة لتحريك الحاضر السياسي الذي تلا "عراق ما بعد صدام" والدولة الشمولية التي كانت تحتكر حق استعمال الماضي والتحكم به، الماضي الذي يشكل دوما قيمة سياسية للحاضر في الثقافة العراقية[28]. يقدم سعيد تحولات اسم المدينة (مدينة الثورة، مدينة صدام، مدينة الصدر) مثالا عن تحرك الاسم من الثقافة الى الايدلوجيا[29]، وهو ما يجعل بالمحصلة من الثقافة نفسها ان تكون قابلة للانحياز والتذبذب والتحول من اطارها الابداعي وهدفها السامي الى الاطار الايدلوجي وهدفه البرجماتي المحدود.

ويخلص خزعل الماجدي الى ان الثقافة العراقية تشتمل على العناصر والبنى الثقافية في مكوناتها وتفتقر الى وجود النظم الثقافية ووظائفها، ويشير الى ان المجتمعات المتطورة تمتلك أنظمة ووظائف ثقافية فاعلة ونشطة توازي نشاطها وتطورها في قطاعات اخرى، وان المجتمع العراقي الحديث يعاني من هشاشة مجتمعية لانه لم يبنَ على اسس صحيحة وان العناصر والبنى القديمة كالعشيرة والدين والطائفة والعرق لا زالت تلعب فيه اهم الادوار[30].

تشكيليا، سعى العديد من الفنانين العراقيين سواء من داخل العراق او خارجه الى التعبير عن الهوية العراقية ومحاولة تأكيدها وتفعيل إرثها الحضاري عن طريق اتجاهات مختلفة رافدينية، إسلامية، عربية وتراثية محلية فضلا عن اشتغالات عديدة على السطوح والخامات حفزت للانتباه الى المشهدية العراقية المدينية المعاصرة في جهد إبداعي يقصد منه تقديم الهوية العراقية كظاهرة فنية، واتجه فنانون عديدون للتصدي لظواهر الارهاب والاحتلال والعولمة من خلال طروحات

رسموية حينا ومفاهيمية احيانا اخرى، عدا تجارب مختلفة في الفيديو ارت وفنون التنصيب المتنوعة وفن الكتاب، تحتاج جميعها لدراسات عديدة تتقصّى بدقة تمثلات الهوية العراقية فيها.

الدراسات السابقة:

موضوع الهوية من المواضيع التي لقيت اهتماما واسعا في الثقافة العراقية عموما والدراسات الاكاديمية على وجه الخصوص، لكن الباحث لم يجد دراسة اكاديمية تتعلق بموضوع الهوية العراقية وتمثلاتها في (الفن التشكيلي العراقي/ فن الرسم) تغطي الفترة الممتدة من عام 2003 الى عام 2018، ولاهمية هذه الفترة ودورها في التأثير على موضوع الهوية مفهوما ومعطى، ولان الفترة نفسها شهدت انزياحات وتشظيات عديدة في بنية الهوية العراقية التي واجهت تحديات كبرى في وجودها الثقافي والمعنوي، تعد هذه الدراسة دراسة اولى في رصد وقراءة الهويات الفنية في الفترة المذكورة وضمن مجتمع البحث الحالي وقابلة للتوسع من قبل الباحثين الاخرين.

الفصل الثالث

اجراءات البحث:

منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن تمثلات الهوية العراقية في الاعمال الفنية عينات البحث.

مجتمع البحث وعيناته: تم انتخاب العينات من الاعمال الفنية التي تم انتاجها في الفترة حدود البحث (2003–2018) من اعمال ثلاثة فنانين عراقيين من مدينة البصرة، تؤشر اعمالهم الى وجود تمثلات هوياتية مختلفة، واختلافها دفع الباحث الى اختيارهم دون غيرهم واستبعاد التجارب المكررة او التي تتشابه مع الطروحات المنتقاة في بحثنا الحالي.

اداة البحث: من اجل الوصول الى معطيات واضحة تجيب على سؤال البحث وتحقق هدفه وبالاستناد الى ماوفرته الادبيات النظرية من معطى معرفي، جرى إعداد استمارة تحليل للعينات المنتخبة وبعد عرضها على الاساتذة المختصين تم المصادقة على صلاحيتها.

تحليل الاعمال:

1. فيصل لعيبي/ العينات (١، ٢، ٣)

تم الحصول على العينات بتفاصيلها المثبتة عن طريق البريد الالكتروني من قبل الفنان نفسه.

		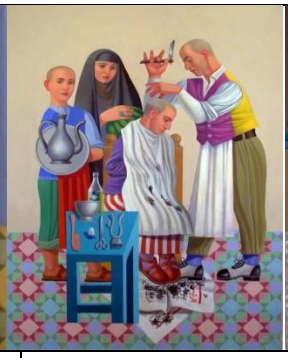	
الحجم	125x190 cm	125x180 cm	125x160 cm
التاريخ	2014	2015	2017
المادة	اكريلك على قماش	اكريلك على قماش	اكريلك على قماش

شكّل الحنين الى الماضي واستعادته فنيا عبر تمثلاته النستالوجية العديدة اتجاها فنيا واضحا للتعبير عن الهوية في جميع الفنون والثقافات، والفن العراقي بصورة خاصة اعتنى بماضيه وإرثه الثقافي بشكل لافت وهذا ما قدمته واعتنت به جميع اعمال الفنان فيصل لعيبي عينات البحث، والماضي العراقي بحسب الفنان، نوع من الانصهار الواسع بين الثقافات والمكونات التي شكّلت نسيجها الشعبي وهويتها المختلفة طيلة عقود عديدة من التعايش.

فيصل لعيبي يستعيد البيئة الشعبية عبر موشورٍ صافٍ ثري بالاظهارات البصرية، غني بالالوان وطراوة الأشكال ونقي من الشوائب مع حرص شديد على اثبات التفاصيل وبهرجتها، يغور في عالم الشخصيات وخلفياتها ويحتفي بالمشهد المشترك العام وروح المكان وزمانه.

استند فيصل لعيبي في نمذجة اعماله وصناعة اسلوبه الفني الى خبرته الكبيرة في الرسم وتاريخه المعرفي في فهم تقاليده واشتراطاته الكلاسيكية لذلك كانت اعماله تمثيلا دقيقا واميناً للمجتمع العراقي وبيئته المتنوعة فضلا عن احتفاءها وتمثيلها فن الرسم وطاقته الجمالية العالية عن طريق تعزيزه تقنيا والعودة به الى منابعه الأصلية.

الهوية في اعمال فيصل كانت تعبيرا عن الصورة الشعبية العراقية وملامحها المجتمعية والثقافية التي ينتمي اليها الفنان ويُؤْمِن بوجودها الحي كحقيقة ماثلة في الوجدان الشعبي العراقي. لم يكتفِ الفنان في تمثيل اعماله نستالوجياً بل سعى لتحقيق بيئة ثقافية كاملة عبر الزمن المستعاد، فعمارة المكان وحضور الانسان وتنوعه الاثني والديني والثقافي شكلت جميعها سمة للهوية العراقية.

عملت تجربة الفنان فيصل لعيبي على كسب رهان يناقض الصورة القائمة الان، رهان شعبي ثقافي يمثل الجمهور العراقي في تعايشه وانتمائه، تنوعه وثراءه نقيضا للصورة الحالية القائمة والتي لا يراها الفنان صورة البلاد الاصلية وانها نتاج ارادات سياسية مصيرها الزوال. الهوية في اعمال لعيبي تتجاوز زمانها الواقعي الى زمانها الاستعادي، عابرة لماضيها لمواجهة وتقويض راهنها.

يرتكز فيصل لعيبي على اصول فنية كلاسيكية في تحقيق انشاءآته الفنية ومنظوره الجمالي مستفيدا من الميراث العالمي الكلاسيكي ومن الميراث الرافديني والفنون الشرقية والاسلامية وصولا الى فهم حداثي لممكنات العمل الفني المعاصر واظهاراته الجمالية وقدراته في المنافسة.

شكّلت اعمال فيصل في العقد الأخير ظاهرة واسعة في الثقافة والمجتمع العراقيين كونها تجدد الثقة بالهوية العراقية وتعيد صقلها والتعريف بها، وقد انتشرت العديد من اعماله من خلال تمثلات وتطبيقات لها في عالم الديكور والأزياء والطباعة.

تمثل اعمال الفنان فيصل لعيبي هوية نموذجية للبيئة العراقية بمعناها الفلكلوري وبمغزاها المتحفي، لعيبي الذي اكتسب خبرات فنية عديدة من خلال دراسته على يد الفنان الرائد فائق حسن ثم التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة (البوزار) بباريس فضلا عن اهتمامه العميق بالفنون الكلاسيكية وفنون بلاد الرافدين على وجه الخصوص، مكنته تراكماته المعرفية من انتاج اعماله وفق معايير كلاسيكية رصينة تستفيد و تستند الى ميراث فني واسع وعريق.

من زاوية اخرى، الهوية التي يحرص الفنان على تمثيلها وفق صورة مثالية "حالمة" لم تعد فاعلة او مكتملة الحضور وربما غير موجودة او متمثلة الان، فكل مابقي منها مجرد اثار مندرسة وانتيكات متفرقة وازياء لم تعد شائعة في عالم الاستخدام اليومي لا تؤشر في مجملها الى مايمكن توصيفه ظاهرة ماثلة للعيان او هوية قابلة للتشخيص في زماننا الراهن، عدا ان الانسان فيها لم يعد هو نفسه فقد مرت عليه عقود عنيفة من زمان الحروب والحصار والتفتت والصراع، صراع الهويات فيما بينها وصراع الهوية الجامعة مع تحديات كبرى كالاحتلال والعولمة وغيرها، ما أفقده مزاياه وأبدلها بما عمّ من تغيرات، والفنان اذ ينتج هذه العوالم انما يعمل مثل منقب حريص على لملمة تفاصيل المشهد بطريقة ترى في الماضي سعادتها وانتماءها ووجودها، واذا كان النستالجيون يحنون الى الماضي ويستعيدوه لشغفهم فيه، فالفنان العراقي عدا ذلك يلوذ به ويحتمي بسبب ازمة هائلة في الحاضر وتراجعه.

وتجدر الاشارة الى ان مساحة النستالوجيا قد اتسعت في الفن العراقي خلال الفترة مابعد الاحتلال وهو ما يؤشر بوضوح الى الانحدار الواسع الذي شهدته البيئة العراقية ثقافيا ومجتمعيا، ليس لكون البيئة العراقية كانت مثالية زمانذاك قدر انها تمثل تعويضا معنويا وبديلا عن الراهن العراقي القاتم، مثلما قد يشكل المشهد الان صورة حالمة لجيل وزمن مقبلين.

2. هاشم تايه/ العينات (4، 5، 6)

تم الحصول على العينات بتفاصيلها المثبتة عن طريق البريد الالكتروني من قبل الفنان نفسه.

			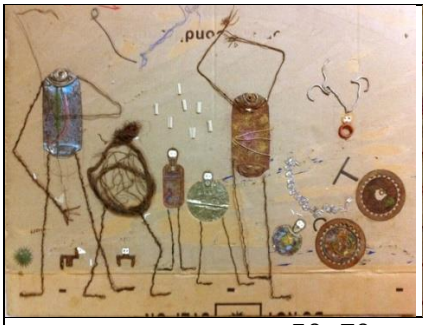
الحجم	60x50 cm	60x80 cm	50x70 cm
التاريخ	2009	2011	2013
المادة	كارتون+ مواد مختلفة	كارتون+ مواد مختلفة	كارتون+ مواد مختلفة

على خلاف فيصل لعيبي، ينشغل هاشم تايه باللحظة الراهنة، بالانسان الحالي، بالجدران والظلال التي يتحرك بينها كل يوم، لا يشكل خطاب الهوية بمفهومها الايدلوجي او الثقافي أهمية كبيرة لديه، هويته فنه وفنه مرآة ذاتية لزمانه ومكانه وتحديا لهما في البقاء.

يتحرك هاشم بحيوية بين عالميه الواقعي والابداعي، العالم الواقعي المتداعي والعالم الابداعي المتجدد، الصورة الواقعية الرثة ونظيرها الجمالي الخالد، الواقع بوصفه اشتراط جمعي للحياة والفن بوصفه نزوعا شخصيا للتفرد.

يعمل الفنان هاشم تايه بأسلوب ذاتي لإنتاج هويته الفنية دون الركون الى أية مرجعيات او مصادر ثقافية في تقديم أعماله الا استلهامه لذلك الأثر الممحو والمشوه من معالم مدينية مندثرة او إنسان زال عنه شموخه وتداعت انسانيته واستحال وتشيأ الى مادة مهمشة وخامة منفية تدوسها العجلات وتسحقها الخطوات العابثة المارة، تلك الملامح الممسوخة التي اجتاحت سنوات الحصار وامتدت الى مابعدها كان لها الاثر الفاعل في توجيه تايه الى ماهو نقيض الهوية ومكاشفة الخراب الذي طغى وتقنن في سلوك إنسان ونظام حياة تدور في عالم من العبث.

تأخذنا اعمال هاشم تايه من خلال محمولاتها الى عالم المسوخ، الى المعنى الخفي وراء الاندثار، اندثار المادة والمكان، اندثار الأشكال وانحسار الالوان ومن وراءها جميعا الانسان، انسان المدن الكونكريتية فاقدة الهوية وفوضى العلامات وتشوه الصور وجنون الانسان بين مسالكها وضياعه.

تتجاوز تجربة هاشم تايه سؤال الهوية لتقف عند أسئلة ذاتية كبيرة، اسئلة الكينونة والوجود، اسئلة قاسية حول الفناء والانتهاء، حول المحو والغياب سعى الفنان لتمثيلها فنيا من خلال محاكاة الواقع المحلي البيئي، محاكاة اقرب ماتكون للنسخ الحرفي لذلك الواقع وتلك البيئة عن طريق توظيف الخامات والمواد بعينها مشتغلا عليها بصريا ومانحا ابعادها قصدية فنية تعبر بها من الشائع الى النادر، من المستهلك الى البكر ومن العفوي الى القصدي لتنتظم في قراءة ادراكية تحمل انساقا

وانظمة من العلاقات الجمالية التي يبحث عنها الوعي الحداثي في الرث من المَشاهِد، الرث الذي صار حقيقة واقعية في البيئة العراقية وحمل بمكوثه الطويل هوية المكان والانسان.

تجربة هاشم تايه التشكيلية متداخلة مع اهتماماته في حقلي الفوتوغراف والأدب، فصوره الفوتوغرافية غير معنية بحرفيات الفوتوغراف وتقنياته قدر رصدها لما هو عابر وصادم ومتناقض في حياة المدينة وغرائبيتها (صورة رقم 1)، الصور والمدونات الكتابية تؤسس احيانا متنا معرفيا للوثيقة التشكيلية عند الفنان ومن خلالها جميعا يمكننا فهم تصورات هاشم عن معنى الهوية وتمثلاتها الإبداعية. في اعماله التي وظف بها خامة الكرتون (العينات، 4، 5، 6)، يمكننا تلمس ذلك الرهان الابداعي الذي يتحرر من ثوابت ادائية بعينها او تجنيس دون سواه لتتداخل الخامات والأفكار والتقنيات في مساحة افتراضية خصبة بالحسي والموضوعي معا وبالذهني والبصري في آن.

صورة رقم (1)

خامة الكرتون في بيئتنا العراقية من لقى الشارع، خامة منفية يحرص هاشم على التقاطها من فضاءها الأخير متتبعا سيرتها ومحافظا على ما اختزنته من علامات واثار على سطحها وما حملته من غبار ولهيب شموس في اديمها، كل اثر علامة لهوية ومؤشر لإيقاع حياة ما ووثيقة لسرد مستمر من الحكايات والصور. ترتبط خامة الكرتون بعالم الاستهلاك، لكن انتقالها لبيئة الفن جعل من معاينتها شروعا في التأمل الجمالي وفهما ابعد لعلاقة البيئي بالإبداعي، ما تحتويه الخامة من علامات وكتابات تجارية تتحول الى نسق اخر في السياق الفني متجردة من هويتها الإرشادية الى هويتها الفنية ومنتقلة من عولمتها الاقتصادية الى عولمتها الثقافية. الخربشات والحزوز والقلع واللصق والتطعيم بالخامات المنفية الاخرى (معادن، بلاستك) التي يمارسها الفنان في جسد الخامة يساهم في تدويرها من جديد باتجاه العمل الفني الذي يخصب نفسه بالابتكار والتداولية.

يذكر الفنان هاشم تايه في حوار*** أجراه الباحث معه حول الهوية، ان الهوية الفنية تتشكل حين يمتلك الفنان القدرة على التعبير عن الذات الفنية وتمثيل العالم من خلالها وإعادة ابتكاره وفق

معادلاتها الشائكة وانظمتها المعقدة وتراكماتها المتنوعة التي شكلت كيانا لا يشبه ماعداه وتقع عليه مهمة ومسؤولية انتاج عوالمه التي هي عوالم ذات طبقات ومؤثرات عديدة لا تقف عند المحيط الجغرافي او الاجتماعي أو التاريخي، بل هي هوية قابلة للتشكل والتحول باستمرار ما دامت قدرته على التأثر والتاثير مستمرة وحافزه يقظا للاكتشاف والتعرف.

الفنانون الذين لا تشكل اعمالهم الفنية هوية بمعناها السائد أو المحلي، ستشكل فيما بينها هوية فنية وعلامة ثقافية تشير الى حراكهم وتصوراتهم الجمالية حول همومهم الإبداعية وتدل ايضا على قدرة الهوية نفسها كاصطلاح على تجديده نفسه حتى من خلال تقاطعاته مع الهوية العامة.

٣. صدام الجميلي/ العينات (7، 8، 9)

تم الحصول على العينات بتفاصيلها المثبتة عن طريق البريد الالكتروني من قبل الفنان نفسه.

الحجم	50x40 cm	60x80 cm	70x90 cm
التاريخ	2018	2018	2018
المادة	اكريلك على قماش	اكريلك على قماش	اكريلك على قماش

في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، ومع وصول الدبابات الامريكية لساحة الفردوس، قلب العاصمة العراقية بغداد، كان إسقاط تمثال الرئيس هدفا أساسيا للاميريكيين، لما يمثله اسقاطه من معطى ومعنى رمزي يساهم فعليا وبعجالة الى اسقاط النظام نفسه وقيادته ممثلة بصدام حسين. كان الأميركيون يدركون اهمية الصورة ورمزيتها بالنسبة للعراقيين لذلك عمدوا على مرأى ومسمع العالم كله لإزالة تمثاله من الساحة الشهيرة في صورة ماثلة في التاريخ.

هل يمكن القول ونحن بصدد قراءة موضوع الهويات، أن الهوية التي طبعت قرابة ثلاثة عقود من عمر العراقيين ووطنهم هي هوية "صدام حسين" نفسه او تلك الهوية التي اختارها هو لهم؟

انه سؤال حادٌ وقاسٍ بطبيعة الحال لكنه لا يجانب الصواب ايضا، فقد كان صدام حسين نفسه يحرص على ذلك وهو مايمكن أن نقرأه ونسمعه آنذاك في ادبيات السلوك السياسي والتعبوي للنظام البعثي وحاشيته السلطوية العريضة "اذا قال صدام قال العراق" ذلك ماكان مسلّما به بين العامة وبين طبقات السلطة السياسية، وهو ايضا ما ترجمه صدام حسين فعليا في طريقته بالحكم والتحكم في البلاد والعباد.

كانت صورة الرئيس هي الصورة الاكثر حضورا وانتشارا وهيمنة في الحياة العراقية بجميع مفاصلها السياسية والشعبية والثقافية، اضافة لتماثيله التي لم تخلُ منها حتى التقاطعات المرورية والساحات العامة، هذا عدا العملات والكتب والميديا السمعية المرئية المهولة التي كانت تدار من خلال توجيهاته المباشرة، مع دراية كاملة بأهميتها السلطوية للوقوف بوجه المواطن علامة قوية للتأكيد والإعلان والإثبات أن "انا موجود اذن انا الحاكم" وهذا ما دفع الامريكان عام ٢٠٠٣ الى الاطاحة بالصورة قبل صاحبها، وهو ما قاد جماهيريا للتيقن انه انتهى فعليا.

يمكن لمن يشاهد اعمال الفنان صدام الجميلي عينات البحث ان يستعيد تلك الرسوم التوثيقية للمحاكمات المغلقة التي يوكل لبعض الرسامين توثيق مشاهدها، وتحيلنا ايضا الى تلك الرسوم القصصية المصوّرة (comic) الموجهة لشرائح عمرية فتية، التي تصور مغامرات بطل ما من خلال الرسوم والحوارات المرفقة بها. ظاهريا هذا صحيح، كون الشخصية المحورية في الاعمال الفنية التي تصوّر جميعها نهاية السيرة الذاتية الشخصية والسياسية للدكتاتور العراقي السابق (صدام حسين) هو الفنان نفسه متلبسا صورة الدكتاتور أو ان الدكتاتور نفسه تلبس صورة الفنان في اشكالية يصعب حل التباسها في المنظور الثقافي والمجتمعي العراقي والعربي احيانا، وهو ما اشار اليه عنوان المعرض (مجرد اسم) الذي اقامه الفنان في عمّان، شهر نيسان ٢٠١٨، الاسم الذي كان سببا في هذه الاشكالية وفي انتاج هذه المجموعة من اللوحات، لكن تطابق اسم الفنان مع اسم الدكتاتور ليس وحده السبب الوحيد لتقديم هذا المعرض الشخصي، فالطبيعة السياسية والسلوكية لتلك الحقبة حكمت على كل من عاشوا زمنها بصورة الدكتاتور وإسمه او بهوية حكمه وتمثلاتها السياسية والاجتماعية والثقافية، وهو ما دفع الفنان للبراءة منها عن طريق الاحتجاج عليها.

لا تشير اعمال صدام الجميلي في محمولاتها الأعمق الى اي من التصورات السطحية من قبيل الرثاء او المحاكاة او التمجيد بدكتاتورية بائدة، قدر ماتعلن موقفها الشخصي في ادانة الثقافة الشعبية التي ادمنت صناعة الاستبداد وانتاج الطغاة في الوقت الذي تتبرأ فيه من المستبدين ومن فكرة الطغيان مثلما سمحت لنفسها بمحاسبة اولئك الذين حكمت عليهم الصدفة بان يلتقوا مع الدكتاتور بإسم او شبه واستمرأت نسخ متغيرات عالم السياسة الى ثوابت عالم الحياة، كما لاتخلو اعمال الجميلي ايضا من موقف متهكم من تاريخه الشخصي، التاريخ الذي يذوب في فوضى الاحداث السياسية وتداعياتها، والصورة الذاتية التي تغرق في ظلال واسعة من الصور السياسية.

تنتمي لوحات معرض الجميلي لفن الصورة الذاتية (self portraits)، لكنها تكسر نمط الصور الذاتية السائد ومغزاه في التعبير عن الذات بوصفها مادة فنية عن الفنان ومنه، الى كونها تورية ومجازا يراوغ الفنان فيه للتعبير عن الصورة الحقيقية التي يملكها الافراد في مواجهة الصور الرمزية والتاريخية التي يحيطهم بها الاخرون (ساسة، رجال دين، ثوار...) وما تمتلكه من فاعلية وقدرة

اكبر على الثبات وتهميش الآخر. الصورة الذاتية في هذه الاعمال تقمصت شخصية اخرى لتتحرر منها وإسما اخر بغية البراءة منه.

تمثيل العلامة التصميمية او لوكوهات الجهات المنتجة للصور التي وظفها الفنان كجزء توثيقي من مشهد العمل الفني في اشارة ودلالة لمصدر الصور التي استند اليها في مشروعه، علامة لمفهوم عولمي واسع وتحريض على الدور الفاعل والاساسي للميديا العالمية في صناعة الصورة والاعلام وترويجهما.

ينحو الجميلي ادائيا في أعماله هذه منحى الرسامين الفطريين الذين ينتجون أعمالهم بلا تكلف وبلا حذلقة حرفية، معززا من الموضوع ومحافظا على الشكل مع عفوية مباشرة في محاكاة الأصل وتفاصيله.

قدّم الفنان معرضه في مكان مهجور مخلع الأبواب، وزّع لوحاته على جدرانه المتصدعة المتداعية التي تعج بالفوضى والاهمال، في قصدية مفادها الابتعاد عن أي مظهر احتفائي بلوحاته هذه، كونها لم تنجز لهذا الغرض، كما انها بعيدة تماما عن الاهداف التزيينية التي يتوجب تقديمها في فضاء صالح للاظهار والابهار، وان المعرض برمته بمثابة صوت تشكيلي وكلمة يجب أن تقال اكثر من كونه فنا ينتظر محاسبات نقدية، فضلاً عن ان الاعمال المقدمة ليست متنا في تجربة الجميلي ولا تشكل امتدادا واضحا لاعماله السابقة قدر تمثيلها لموقف مُلحٍ في وجدان الفنان، موقف من الهوية ومن منتجيها ومن الايمان بها.

يضعنا الجميلي في سؤال هوياتي كبير ومفتوح، أي الهويات نحمل فعلا؟ هوية القطيع أم هوية الشواذ؟ هوية الخضوع أم هوية التمرّد؟ هوية المحدود أم هوية اللامنتهي؟ هوية الانغلاق أم هوية الانعتاق؟ هوية التقاليد أم هوية المواقف؟ هوية الاباء أم هوية الابناء؟ هوية الجماعة أم هوية الفرد؟ هوية الاسماء أم هوية الذات؟

الفصل الرابع

النتائج:

أسفر البحث الحالي وبعد مراجعة الادبيات المتعلقة بالهوية والهوية العراقية مفهوما ومعطى تاريخيا ومن خلال تحليل العينات المنتخبة، عن مجموعة من النتائج الآتية:

1. لم تكن هناك مؤشرات واضحة لما يمكن توصيفه بالهوية العراقية المعاصرة في اعمال التشكيليين العراقيين عينات البحث بعد عام 2003 ومرد ذلك الى اشكالية الفترة نفسها الواقعة بين زمني الاستبداد والاحتلال وهو ما اضعف من قدرة الهوية على التشكل في بيئة ناهضة ومستقرة.
2. سؤال الهوية تردد كثيرا في الثقافة التشكيلية العراقية وتمت إجابته من خلال طروحات عديدة ومتباينة تستند الى خلفيات ومرجعيات ثقافية مختلفة، لكن الاشتغال على الهوية بوصفها

انتماءا او قضية يتداخل فيها الثقافي مع الوطني، والاخلاقي بجوار الابداعي، يشير بحد ذاته الى تجذر الهوية في الوجدان الابداعي العراقي وعلى الروح الحية للهوية نفسها رغم انحسارها وتفتتها وانخفاض صوتها.

3. العودة الى الماضي والحنين اليه شكل علامة واضحة في التشكيل العراقي، وهو اضافة لكونه مثالا واضحا على غياب هوية راهنة فهو مثال عن انتماء الفنان العراقي لهوية تاريخية عراقية وارتباطه بجذور بلاده العينات (1، 2، 3).
4. غياب الهوية العراقية خلال الفترة حدود البحث ترجع اسبابه الاساسية الى غياب البيئة الطبيعية سياسيا وإداريا وزمنيا لبلورة وإنتاج هوية عراقية، اضافة لضعف النظم الثقافية، وعدم تحققق نموذج عصري للدولة المؤسساتية الحديثة، التي من شأنها خلق بيئة تفاعلية بينها وبين الأفراد والجماعات.
5. اجتهادات الفنان العراقي بتمثيل هويته الفنية والثقافية حثيثة ومستمرة وهو مؤشر جيد لوعي الفنان وطموحاته ولكن ماتواجهه الهوية العراقية ذاتها من تحديات كبرى داخليا تتمثل في انقساماته الطائفية والإثنية والعرقية فضلا عن البيئة السياسية المعقدة التي ساهمت بتفتيت الهوية العراقية بصفتها الجامعة بغية تحقيق مصالح شخصية وفئوية محدودة وانعدام الروح الوطنية المستقلة في قرارها ورؤيتها المستقلة، يشكل تحديا كبيرا تقابله تحديات عالمية كبرى لاتقل شأنا وخطورة من قبيل العولمة وثورة الميديا ووسائط الاتصال فضلا عن تدخلات السياسة العالمية والإقليمية في إستقلالية القرار العراقي.
6. طغت الهوية السياسية بوصفها سلطة وقرارا يميل للاستبداد والاستحواذ وتجيير الثقافة لصالح مشروعها ومنهاجها السياسي كونها الحاضن الأكبر لإدارة المشاريع الثقافية وتمويلها فضلا عن توفر طبقة ثقافية تسعى لتمثيل السلطة ثقافيا بغية تجميلها وصناعة تاريخها الثقافي.
7. تم تناول موضوع الهوية فنيا من خلال أساليب متنوعة منها ماعتمد نهجا تشخيصيا ينحو نحو المثال والاعتناء بالمشهد التصويري بطريقة تقارب الكمال (اعمال الفنان فيصل لعيبي) التي اثبتت قدرتها على تحقيق النموذج الواضح في تمثيل البيئة العراقية بتفاصيلها وشخوصها وعمارتها، فضلا عن المتن الحكائي الذي يربط خيوط المشهد وابطاله ويساهم بتفعيل بيئة الفضاء الفني وهويته.
8. قدم الفنان فيصل لعيبي انموذجه الفني عبر مرجعيات حضارية عديدة تمتد في الارض العراقية كالآشورية والبابلية والإسلامية وصولا الى الثقافة الشعبية الحديثة بتفاصيلها الدقيقة ومشاهدها البانورامية الواسعة.
9. برهن الفنان فيصل لعيبي على قوة الهوية العراقية الماضية ولحمة نسيجها وقدرتها على العودة والحياة من جديد وأنها بتمثلاتها المختلفة اقرب للوجدان الشعبي العراقي من الهويات

التي تلتها وحتى في تناوله للشخصيات الاشكالية او السلبية في الثقافة العراقية، فقد سعى الفنان لتقديمها في إطار سردي وتناغم جمالي يقدم الفني على الموضوعي.

10. اعمال فيصل لعيبي تقف بصلابة امام تحديات العولمة وفرط الاتجاهات الحداثية في احتكار الهوية الفنية، إذ يمكن توصيف فيصل لعيبي بانه فنان " تاريخاني" بالمعنى المرتبط هنا بالصناعة الفنية ذاتها وطبيعتها التراكمية وبالهوية التي ينتمي اليها الفنان وعمقها وتنوع طبقاتها وهذا لوحده كفيل بأن يشكل حافزا لاستمرار الهوية وتوالدها اضافة لاحياء ملامحها المندرسة وهو مايصب ايضا في مصلحة الفنون الحديثة نفسها لمراجعة تجاربها بوعي مدرك لا اعتباطي في مساراته ومنجزاته على السواء، بمعنى ان الفنون التي تسعى لهدم او تحرير او اعادة انتاج "الفنون التاريخانية" عليها ان تفهم ماهية هذه الفنون وطبيعة اظهاراتها وممكناتها البصرية بغية تقديم فن مواز وقابل للاستمرار والتلقي ويحمل خصائص هوياتية معينة.
11. اعمال الفنان هاشم تايه ابتعدت عن التشخيصية وسعت لتحقيق مقاربات واقعية من خلال الخامات المستخدمة والرثاثة المقصودة في بيئة العمل الفني واظهاراته تمتثل لواقعية المكان العراقي وهويته الراهنة، وهو ما ميز تجربة الفنان التي رصدت محيطها وسعت لتمثيله وإعادة إنتاجه حداثيًّا.
12. التمثيل الابداعي للرث والمهمل والمهمش من الخامات الشائعة فضلا عن الخراب الواقع في البيئة ونتائجه الوخيمة على الذائقة والمشهد المديني العام يمثل سعيا حثيثا في اظهارات الفن العالمي المعاصر ليس لكونه مرتبطا بقضايا فنية صرفة من قبيل فنون مابعد الحداثة والتداولية وغيرها فحسب بل يرتبط ايضا بمفاهيم اخرى أهمها البيئة (Environment) التي يشكل التفكير بها والحرص عليها قلقا عالميا مرتبطا بمستقبل الكوكب الأرضي وما يتهدده من اخطار التضخم الصناعي ومخلفات الاستهلاك وكيفية حماية الموارد الطبيعية.
13. الفنان صدام الجميلي قدم ايضا اعماله من خلال التشخيص، التشخيص الوثائقي الذي يهدف لدراسة الصورة من خلال ابعاد مختلفة تسعى للتعرف على الصورة ومكاشفتها، محاكمتها وإدانتها، الصورة الذاتية التي اشتغل عليها الجميلي من خلال اعتماده النموذج الفوتوغرافي او الوثيقة الفوتوغرافية الملغزة والمرمزة بانزياحات تنأى عن وثائقية الصورة باتجاه ذاتية الفنان وتقترب منها بغية التحرر من هيمنتها.
14. اعمال الفنان صدام الجميلي يمكن تجييلها بحسب الحقبة التي ينتمي اليها الفنان، فعقود السبعينات والثمانينات والتسعينات وصولا للالفية آلتي استهلها العراقيون باحتلال آمريكي تلك الفترة الزمنية الطويلة كان صدام حسين بطلها. يمكن اعتبار الجيل الذي ينتمي اليه الفنان صدام الجميلي جيل صعب وكان على مفترق طرق من قضايا اشكالية عديدة تقف في

مطلعها قضايا الانتماء والهوية، فاستبداد السلطة والتفتت الشعبي فضلا عن قوى عالمية عديدة وضعت من العراق اولوية في حسابات ستراتيجية وصولا للاحتلال الامريكي الذي أفضى الى هاوية كبرى لا تزال تداعياتها فاعلة على الهوية العراقية وتمثلاتها المختلفة، هذه الاسباب وغيرها شكلت جيلا رافضا وناقما ولديه دوافع عديدة للتمرد على مورثاته الوطنية والقومية والايدلوجية والسير بالاتجاه الاخر لها.

15. شكلت صورة صدام بوصفه دكتاتورا حاكما لبلد مهم مثل العراق معطى ذَا مغزى في الميديا العالمية ومنظومتها الإخبارية الفاعلة، ولعل صوره الاخيرة سجينا وشخصيته المحكومة لا الحاكمة كانت ذات اثر رمزي وثقافي واجتماعي واسع على المستوى العالمي وليس المحلي فحسب، وهو ما يسّر للفنان صدام الجميلي تناولها فنيا في الحقل التشكيلي بحكم تداوليتها وابعادها الرمزية المختلفة، مستفيدا من طاقتها التعبيرية للإفصاح عن فكرة ذاتية تتعلق بهوية الفرد وانتمائه لذاته وتحييده عن الموقف السياسي وتبرئته من تداعيات شخوصه وجرائمهم وفصل المسميات عن الذوات.

16. يمكن تصنيف اعمال صدام الجميلي على انها نوع من فن الصورة الذاتية "self portrait" اذ يقدم الفنان ذاته في جميع اعمال المعرض بصورة تشخيصية تقصّد الفنان فيها إظهارا مطابقا لصورته الواقعية بغية تحقيق هدفه من إنجاز هذه الاعمال، وفِي هذا السياق فان هذه الصور الذاتية فرادى او مجتمعة تشكل صورة واحدة تتداخل اشكاليا مع صورة اخرى (سياسية– تاريخية) تتبادل معها الأدوار في مكاشفة وتهكم.

الاستنتاجات:

في ضوء النتائج التي توصل اليها البحث يستنتج الباحث ما يلي:

1. غياب مفهوم واضح للهوية العراقية الراهنة في منجزات الفنانين العراقيين في الفترة المذكورة، ليس بسبب عزوف الفنان عن تمثيلها انما بسبب غيابها فعليا كحالة ثقافية أو مجتمعية تمثل خصائصا وانساقا لمجموعة بشرية في فضاء جغرافي معين، فضلا عن تداعي المرتكزات الاساسية المنتجة للهوية والمسؤولة عن اعادة رسم ملامحها وتحديثها باستمرار.
2. ان موضوع الهوية في وقتنا الراهن هو موضوع منفتح على التغيرات والتحولات التي يشهدها العالم الحديث الذي انهارت حدوده الثقافية وتشظت خصوصياته لتذوب في هوية كبرى، هوية نحتتها الشعوب والحضارات بتلاقح ثقافاتها وانصهارها في فضاء واسع قابل للتجدد والتكون باستمرار.
3. التجارب والتحولات الفنية المتحررة من هيمنة خصائص هوياتية معينة تنتج هويات جديدة اذا ما تم تأكيدها والاشتغال عليها، لان موضوع الهوية بطبيعته قائم على التجدد والتحول والتغير وليس من هوية ثابتة.

4. انصياع الهوية الثقافية للايدلوجيا السياسية شوّه منطقتها الابداعية وحرّض على انحيازها وتذبذبها وتحولها من اطارها الابداعي وهدفها السامي الى الاطار الايدلوجي وهدفه البرجماتي المحدود.
5. الى جوار الهوية السياسية، كانت الهوية الدينية فاعلة ومهيمنة جماهيريا وقد توفر لها في الفترة حدود البحث القدرة والحريّة للتعبير عن نفسها على كافة الصعد والمستويات وهو ما ساهم في تغيّر الكثير من القضايا والمواقف الثقافية من خلال التجربة والوقوف على المحك وهو ما يشير ايضا الى قوة الهوية الدينية رمزيا في زمن الاستبداد وضعفها في زمانها السلطوي وهذا ينطبق على جميع القوى التي تتخذ مواقف اثناء وجودها في جبهة المعارضة وتتخلى عن التزاماتها عند وصولها السلطة في عملية دورية تتبادل فيها الأطراف الأدوار والتهم.
6. العودة الى الهويات في الوعي المستقبلي قد تشكل نوعا من النكوص والارتداد الثقافي، كما قد يشكل الانزياح نحو الهويات الفرعية نوعا من الخطر القاتل كما نشهد ذلك في بروز الهويات الدينية والطائفية والقومية والعرقية.

التوصيات والمقترحات:

يوصي الباحث باتخاذ مواقف رسمية واضحة ومسؤولة من الهوية العراقية بعد تعريفها وتحديثها بما يتوافق مع خصائصها الاساسية ومع تغيرات العالم وذلك من خلال تفعيل دور مؤسسات الدولة وتغذيتها بالعقول والخبرات المسؤولة عن صناعة الهوية واحياءها، ودعم مؤسسات المجتمع المدني التي تأخذ على عاتقها فاعلية بناء الهوية جماهيريا بما يخدم فئات المجتمع وطبقاته التي لا تمتلك الدولة قدرة الوصول اليهم دائما.

ويقترح الباحث العناوين التالية للدراسة:

1. دراسة الهوية الفنية العراقية بحدود زمانية ومكانية أوسع.
2. دراسة الهوية الرافدينية في الفن العراقي المعاصر.
3. دراسة الهوية الدينية في الفن العراقي المعاصر.
4. دراسة الهوية الميثولوجية في الفن العراقي المعاصر.
5. دراسة الهوية المعمارية في الفن العراقي المعاصر.
6. دراسة الهوية السياسية في الفن العراقي المعاصر.
7. دراسة اشكالية الهوية في تداخل الفنون في الفن العراقي المعاصر.

المصادر:

1. Knubben, Thomas. *Emil Nolde: Unpainted Pictures*. Ostfildern-Ruit, Germany: Hatje Kantz Publishers, 2000. p. 141
2. Benjamin, Roger, Kandinsky & Klee in Tunisia The University of California press, 2015, p.104

3. جبرا، ابراهيم جبرا، جذور الفن العراقي، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢.
4. الجميلي، صدام، خاصرة الصورة: سؤال الاصالة في الفن العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص٦٤.
5. https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/identity
6. https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/identity
7. الجابري، محمد عابد، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص10.
8. كوزن، بيتر، البحث عن الهوية: الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايركسون، ترجمة: د. سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠، ص٩٣.
9. ميكشيللي، اليكس، الهوية، ترجمة: د. علي وطفة، ط١، دمشق، ١٩٩٣، ص٩٧.
10. المسكيني، فتحي، الهوية والزمان: تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٥.
11. حسنين، حسن حنفي، الهوية، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢، ص١٠.
12. أحمد، حافظ فرج، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٦٤-١٦٥.
13. عبد الكافي، عبدالفتاح، التعليم والهوية في العالم المعاصر، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد ٦٦، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،٢٠٠١، ص١٣.
14. كوزن، بيتر، البحث عن الهوية، مصدر سابق، ص ٩٢.
15. كوزن، بيتر، البحث عن الهوية، مصدر سابق، ص ٩٥.
16. كوزن، بيتر، البحث عن الهوية، مصدر سابق، ص ٩٧.
17. ميكشيللي، اليكس، مصدر سابق، ص ١٣١.
18. ادونيس، الهوية غير المكتملة، ترجمة: حسن عودة، دار بدايات، دمشق، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٥.
19. حرب، علي، خطاب الهوية- سيرة فكرية، ط٢، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٠١-٢٠٢.
20. جوزيف، جون، اللغة والهوية، ترجمة: عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٤٢، ٢٠٠٧، ص١٥.
21. غارودي، روجيه، الولايات المتحدة، طليعة الانحطاط، ترجمة: مروان حمودي، ط١، دار الكتاب، دمشق، ١٩٩٨، ص٤-٥.
22. عن: الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية- البحث عن الهوية، ط١، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٣، ص١٩٧.
23. الحيدري، ابراهيم، مصدر سابق، ص١٩٩.
24. ميكشيللي، اليكس، مصدر سابق، ص١٠٨.
25. ميكشيللي، اليكس، الهوية، ص ١٤٧-١٥٦.
26. ميكشيللي، اليكس، الهوية، ص ١٣٧.
27. هالبيرن، كاترين، مفهوم الهوية، تاريخه، إشكالاته، ترجمة: الياس بلكا، مجلة اتجاهات، العدد١، بغداد، ٢٠٠٨، ص٣٠.

28. سعيد، حيدر: سياسة الرمز، عن نهاية ثقافة الدولة الوطنية في العراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٨٦.
29. سعيد، حيدر: المصدر السابق، ص٣٤.
30. الماجدي، خزعل، الثقافة العراقية المعاصرة، مجلة الكوفة– مجلة دولية محكمة تصدر بدعم من جامعة الكوفة، السنة٢، العدد٤، ٢٠١٣، ص١٠٠–١٠١.

* مقابلة مع الفنان موثقة ومؤرخة في كانون الاول ٢٠١٧. (Lozovisky Sergey–سيرغي لوزوفسكي) فنان اوكراني واستاذ الرسم في كلية الفنون/ جامعة جنوب اوكرانيا الوطنية. من الجدير بالذكر ان المدرسة الفنية السوفيتية كانت ترفض الفنون الحديثة في مؤسساتها الاكاديمية وتستند الى الأصول الأكاديمية في التعليم فضلا عن استخدامها الفنون باتجاه ايدلوجي تعبوي في كثير من الاحيان خلال الحقبة السوفيتية.

** في عام 1993، أثار هنتغتون جدلاً كبيراً في أوساط منظري السياسة الدولية بكتابته مقالة بعنوان صراع الحضارات في مجلة فورين آفيرز، وهي كانت رداً مباشراً على أطروحة تلميذه فرانسيس فوكوياما المعنونة نهاية التاريخ والإنسان الأخير. جادل فرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ والإنسان الأخير بأنه وبنهاية الحرب الباردة، ستكون الديمقراطية الليبرالية الشكل الغالب على الأنظمة حول العالم. هنتغتون من جانبه اعتبرها نظرة قاصرة، وجادل بأن صراعات مابعد الحرب الباردة لن تكون بين الدول القومية وإختلافاتها السياسية والإقتصادية، بل ستكون الاختلافات الثقافية المحرك الرئيسي للنزاعات بين البشر في السنين القادمة.(المصدر: ويكيبيديا).

*** مقابلة مع الفنان هاشم تايه موثقة ومؤرخة في آذار 2018.